فانها كانت تصل الى مقاتل الفرس ولا تردها عنها تجافيهم لانها خفيفة تخترقها الطعنات النجلاء . سادساً ان تدريب اليوناني على القتال منذ اشتداد ساعده امر لم يألفهُ كثيرون من تباع الفرس . سابعاً كان الفرس في موقف لا يستطيعون منهُ ان يستطلعوا حال اليونان بخلاف هؤلاء فانهم كانوا على علم بحركات اعدائهم ومكناتهم . ثامناً ان كثافة جيش الفرس كانت احدى بلاياهم بخلاف قلة اليونان وسرعة حركاتهم فانها مكنت قادتهم من ترتيبهم على ما احبوا

ولقد أدهش الناس لاضراب المؤرخين الاول عن ذكر خيل الفرس في هذه الموقعة مع انها ذكرت قبل التلاحم . اعتبر ذلك بما ورد من ان هيبياس الخائن اختار سهل ماراثون واشار به لان مسرح الفوارس فيهِ فسيح ولكن ملتيادس رد كيدهم في نحورهم اذ جعل رجالتهُ صفاً من السجفة الواحدة الى الاخرى فلم يبقَ من مجال للخيل لانها لا تقوى على مهاجمة الرجالة اذا كانوا صفاً لا تبرز عن مساواتهِ الاَّ الاسل وكفى بها مانعاً

ولقد عظم الكتبة شأن هذه الواقعة الهائلة ليس لانها قطعت عدال الحرب بين الفرس واليونان بل لانها اوقفت تيار الفرس عن اقتحام اليونانية ومحق استقلالها ومعالم مجدها ومحو تمدنها المحسوب جرثومةً لتمدن الحالي . نعم ان الفرس لم يستسلموا للانكسار ولم يقعدوا عن طلب الثأر ولكنهم علموا والعالم اجمع ان المنعة والعصمة لا تخلدان لقوم وان المجد والسؤدد يقومان في غير عصبتهم ايضاً وان ما ارادوهُ من اخضاع اليونان لهم ليس بالامر اليسير وكفى بالدهر مؤدباً

تمثال هكسلي

العلم مطلوب لذاتهِ ولا يخطر على بال عالم يبحث في نواميس الطبيعة ويصل الليل بالنهار درساً وتنقيباً انهُ يفعل ذلك لكي يُقام لهُ تمثال او يُرفع لهُ نصب . ولكن اذا رأى ابناؤنا تماثيل العلماء والفضلاء قائمة بازاء تماثيل الملوك والعظماء زادوا رغبةً في العلم وتطلباً للفضائل ولذلك ترى البلدان الراقية مراقي الفلاح تكرم علماءها بعد مماتهم كما تكرم وزراءها وتقدر المرء بما نفع بهِ بلادهُ وابقى فيها من المآثر واما البلدان التي تقضي عليها بالانحطاط فلا يشاد فيها تذكار الاَّ لمن عاش عيشة الكسل وعلم الناس التوكل والخمول وهذا من جملة الفروق بيننا وبين غيرنا من الاوربيين

يعلم قرّاء المقتطف مقام هكسلي بين رجال العلم فانهُ العالم الطبيعي الذي نصر مذهب دارون بقلمهِ ولسانهِ ووسّع علم التشريح والبيولوجيا وبحث وحقّق في مواضيع كثيرة علميّة وادبيّة

وكان خدمة الدين يكفرونهُ في حياتهِ لكن فضلاءهم كانوا يجلُّون قدرهُ ويعترفون لهُ بالعلم الواسع والبلاغة النادرة والآداب الرائعة وسلامة النية وحسن الطوية . ولما توفي اجمعوا كلهم على مدحهِ . ثم اهتمَّ عظماء الانكليز وعلماؤهم وفضلاؤهم باقامة تمثال لهُ في متحف التاريخ الطبيعي واحتفلوا في الثامن والعشرين من شهر ابريل الماضي بكشف الستار عن هذا التمثال امام ثمانمئة من نخبة الامة الانكليزية . وافتتح الاحتفال الاستاذ راي لنكستر بخطبة وجيزة اتى فيها على ذكر الاعمال التي عُملت لاقامة التمثال والاكتتاب بالمال لنفقاتهِ وقال "ان السر جوزف هوكر صديق هكسلي الحميم الذي بقي وحدهُ من اولئك العظماء الاعلام الذين كان منهم لَيل وأوين وداروين وبهم استعزَّ العلم الطبيعي في عصر الملكة فكتوريا يتقدَّم ليسلم التمثال الى امناء المتحف البريطاني وانت ايها الامير (مخاطباً برنس اوف ويلس) نائب هؤلاء الامناء قد رضيت ان تستلم هذا التمثال باسمهم وهو دليل على اعجاب الناس في هذه البلاد وفي كل البلدان المتمدنة بالرجل الذي يعدُّ من اعظم رجال العصر كمكتشف ومعلم وكاتب ورجل "

ثم تقدَّم السر جوزف هوكر وقال

مولاي لقد انتدبني الذين اكتتبوا لانشاء تمثال صديقي المرحوم الاستاذ هكسلي لكي اقدمهُ الى سموكم بالنيابة عن امناء المتحف البريطاني على ان يبقى في هذا البهو مع تماثيل العظماء المشاهير الذين سبقوهُ وهم السر جوزف بنكس والستر داروين والسر رتشرد أوين . وفضولٌ مني ان ابين حقَّ هكسلي في ان يُنصب تمثالهُ بين تماثيل هؤلاء الاعلام ولو كنتُ قادراً على ذلك فكيف وانا غير قادر ثم عدَّد الاعمال التي شارك فيها هكسلي هؤلاء العظماء . وتلاهُ السر مجائيل فوستر فقال مخاطباً برنس اوف ويلس . " اني ارى من الواجب عليَّ ان ازيد بعض كلمات على ما قالهُ شيخ علماء البيولوجيا السر جوزف هوكر الذي ولد قبل هكسلي وحالفهُ على مناصرتهِ فوقف الى جانبهِ يحاربان في سبيل العلم ولذلك لم يشأ ان يذكر كل الاعمال المجيدة التي عملها هكسلي لانهُ كان مشاركاً لهُ فيها . اما نحن اولاد هكسلي في العلم الذين نعلم ان كل ما نستطيع فعلهُ مكتسب منهُ فلا يليق بنا السكوت في هذا الموقف العظيم

فقد ظن بعضنا احياناً ان هكسلي اعطى الجمهور كثيراً مما كان يجب ان يوقفهُ على العلم وحدهُ ولكن اذا كان العلم قد خسر بسبب ذلك فالعالم كلهُ قد كسب بل كسب العلم نفسهُ ايضاً لانهُ عرف من ذلك ان نفعهُ غير خاصٍّ بهِ بل عام ومرتبط بمصالح الناس اجمع

وكثيرون يحسبون الرجل الذي اجتمعنا الآن لتذكارهِ مفسِّراً لآراء رجل آخر عظيم نرى تمثالهُ قائماً هنا ينظر الينا وسموكم تتذكرون الآن انكم كشفتم الستار عن ذلك التمثال تمثال

دارون منذ خمس عشرة سنة وقد تتذكرون ايضاً الكلمات البليغة التي فاه بها حينئذٍ صاحب التمثال الآخر الذي اجتمعنا لرفع الستار عنهُ . نعم ان هكسلي قد حارب لاجل دارون وكان يحارب دائمًا ولكنهُ لم يحارب ليغلّب دارون على غيرهِ بل حارب لاجل العلم حارب لكي تُمحَّص آراء دارون بنور الحق غير ممزوج بالتعصب ولا بالغرض ولم يكن يحسب تلك الآراء معصومة عن الخطإ ولكنهُ لم يحسبها ايضاً حرية بالرفض والازدراء كانها ثابتة البطلان

وقد اشتغل هكسلي لغيرهِ على غير الاساليب العلمية ولولا معرفتنا ذلك لكنا نظنهُ اقتصر على البحث العلمي لكثرة ما اتَّسع علم البيولوجيا على يدهِ فانهُ ترك آثارهُ في كل مبحث منهُ هدًى للذين ياتون بعدهُ . والحقائق التي افاد بها العلم مذكورة في كتبهِ لكن ذلك جزء مما خدم بهِ العلم . فانهُ ما من احد قصدهُ لفائدة وارشاد ومضى خائبًا ونحن كلنا من مشرحين وزوولوجيين وجيولوجيين وفزيولوجيين ونباتيين وانثربولوجيين كنا نأتي اليهِ ونستقي من موردهِ العذب . وكل بيولوجيي هذا العصر في هذه البلاد وفي سائر البلدان تذكار لهذا الرجل العظيم وهم يفتخرون بكشف الستار عن تمثالهِ"

ثم تكلم ذوق دفنشير كرئيس اللجنة التي اتمت باقامة هذا التمثال لهكسلي وطلب من البرنس اوف ويلس ان يقبلهُ في المتحف البريطاني فاجابهُ البرنس قائلاً

"ايها السادة والسيدات . اني احسب فخرًا عظيماً لي ان انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضوًا منهم . ولم انسَ اني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطبًا في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . وبقبول مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اصادق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العظماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين"

هذا ولما توفي الطبيب الذكر المرحوم علي باشا مبارك طلبنا ان يكتتب تلامذتهُ ومريدوهُ بمال يقام لهُ بهِ تذكار خالد يراهُ ابناء هذا القطر فيتذكرون الرجل الذي خدم المعارف سنين كثيرة . فجُمع المال المطلوب ولكن اختلفت الآراء في التذكار الذي يقام بهِ واخيرًا قرَّ القرار على اعطاء ريعهِ جوائز لبعض المشتغلين بالعلم . وهذا امرٌ حسن ولكن التذكار المشاهد بالعين اوقع في النفوس واوفى بالغرض المطلوب